صَلَاةُ التَّهَجُّدِ

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: {أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ}

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام!

إِنَّ كُلَّ صَلَاةٍ تُؤَدَّى بِنِيَّةِ التَّنَفُّلِ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَقَبْلَ الْفَجْرِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ وَالْوَاجِبَةِ تُسَمَّى بِصَلَاةِ التَّهَجُّد. وَهِيَ أَفْضَلُ صَلَاةٍ يُؤَدِّيهَا الْمُكَلَّفُ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، وَكَانَتْ صَلَاةُ التَّهَجُّدِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُدَاوِمُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلمَ وَيُوصِي بِهِ أُمَّتَه.

وَهَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي لَمْ يَتْرُكْهَا النَّبِيُّ صَلى الله عليه وسلمَ إِلَّا نَادِرًا هِيَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّيْلِ. وَهِيَ تُعَدُّ مِنْ خِصَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيم. إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: **{تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}**. وَيَقُولُ سُبْحَانَه: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ - آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ - كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ - وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**.

إِخْوَتِيَ الْكِرَام!

وَكَمَا هُوَ مَفْهُومٌ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، فَإِنَّ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالَّتِي بِهَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ حَقَّ إِيمَانِه، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَذُوقُونَ بِهَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ سُبْحَانَه. حَيْثُ إِنَّ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ تُؤَدَّى فِي جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ، يَتْرُكُ فِيهِ الْإِنْسَانُ فِرَاشَهُ لِيُنَاجِيَ رَبَّهُ بَعِيدًا عَنْ ضَوْضَاءِ النَّهَارِ وَمَشَاغِلِه.

كَذَلِكَ فَإِنَّ صَلَاةَ التَّهَجُّدِ مِنْ أَمَارَاتِ حُبِّ الْمُؤْمِنِ لِرَبِّهِ وَمِنْ مَظَاهِرِ صِدْقِهِ فِي إِسْلَامِهِ وَعُبُودِيَّتِه. إِذْ يَقُومُ لَهَا الْعَبْدُ نَافِلَةً عَلَى مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، وَبَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، لَيْسَ إِلَّا لِنَيْلِ مَرْضَاةِ رَبِّه.

إِخْوَتِيَ الْكِرَام!

إِنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ سُكُونِ الْقَلْبِ وَصَفَاءِ الذِّهْنِ، وَلِذَا يَكُونُ تَأْثِيرُ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ أَكْبَر. يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ مُشِيرًا إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ: **{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا}**. وَبِذَلِكَ تَكُونُ صَلَاةُ اللَّيْلِ فُرْصَةً كُبْرَى مُقَدَّمَةً إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ بِتَأْثِيرِ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِين.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ فِي اللَّيْلِ وَقْتًا يُسْتَجَابُ فِيهِ الدُّعَاءُ وَلَا يُرَدّ، وَقْتًا هُوَ فُرْصَةٌ لِنَيْلِ الْمُرَادِ وَلِلْأَمْنِ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَقْتًا لَرُبَّمَا تَكُونُ لَحْظَةٌ فِيهَا نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ فِي حَيَاةِ مَنْ أَدْرَكَهَا. يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **{عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ}**. فَهَلْ يُتَصَوَّرُ بَعْدَ كُلِّ هَذَا أَنْ تَكُونَ ثَمَّةَ لَحْظَةٌ تَكُونُ أَغْلَى مِنْ هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَارَك، اَلَّذِي تَرِقُّ فِيهِ الْقُلُوبُ وُتُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَكُونُ الْعَبْدُ فِيهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مُنَاجِيًا إِيَّاهُ وَسَاجِدًا لَه ؟!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام!

قَدْ يَسْتَبْعِدُ الْبَعْضُ مِنَّا، قِيَامَ اللَّيْلِ وَقَطْعَ النَّوْمِ وَتَرْكَ الْفِرَاشِ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَعْصِي عَلَى كَثِيرِينَ مِنَّا اَلْقِيَامُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ نَفْسِهَا. وَلَكِنْ، لَا يَنْسَيَنَّ أَحَدٌ مِنَّا أَنَّ صَلَاة اللَّيْلِ وَإِحْيَاءَهُ بِالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، كَانَ مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ وَسُنَّتِهِ، وَمِنْ أَحْوَالِ العَابِدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْ أَحْوَالِ الْعَارِفِينَ وَالْمُرْشِدِين. فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْدَرِجَ فِي مَسَالِكِ هَؤُلَاءِ وأَنْ نَرْتَقِيَ إِلَى مَارْتَقَوْا إِلَيْهِ، لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا كَمَا اطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنَا وَأَحْوَالُنَا عَلَى غِرَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ هَؤُلَاء.

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُلْحِقَنَا بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ الْمُخْلَصِين.